Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كنّا إلى هنا قد وقفنا عند بعض المعاني الفلسفية لهذه الرواية -وهي معان تشهد أن قراءة (ماركيز) ليست من السهولة بمكان- فإننا لا نسوّغ لأنفسنا أن نتجاوز ما في هذه الرواية من بُعْد وثائقي يتمثل بالإشارة إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية لأبناء الجالية العربية على ساحل الكاريبي، فماركيز يقول عن العرب الذين كان يخشى أن يثأروا لابن جلدتهم (نصار) -(ص٧٢): "كان العرب يؤلّفون جالية من المهاجرين المسالمين الذين استقروا منذ بدايات هذا القرن في قرى منطقة الكاريبي، ووصلوا إلى أقصى هذه القرى وأفقرها. وهناك عاشوا وهم يبيعون قطع قماش ملونة وحلياً رخيصة للمهرجانات، كانوا متحدين نشيطين ومتصوفين. يتزوجون فيما بينهم، ويستوردون قمحهم، ويربون الخراف في باحات بيوتهم، ويزرعون الحبق والباذنجان. وولعهم العاصف الوحيد هو ألعاب الورق". ويضيف (ماركيز) ملمحاً آخر عن حال العربية بين ظهرانيهم فيقول: "استمر المسنون منهم في التحدث بالعربية القروية التي حملوها معهم من بلادهم، وحافظوا عليها سليمة في عائلاتهم حتى الجيل الثاني. أما أبناء الجيل الثالث منهم، باستثناء سنتياغو نصار، فكانوا يستمعون إلى آبائهم بالعربية ويجيبونهم بالإسبانية، وهكذا، لم يكن ممكناً التصور بأنهم سيغيرون فجأة من روحهم الرعوية ويثأرون لميتةٍ يمكن أن نكون جميعاً مذنبين فيها"(الرواية ص٧٢).

وبالإضافة إلى الملمح الوثائقي للنص يمكن أن ننبه إلى عبارة (ماركيز) الأخيرة في المقبوس السابق. وهي أن تلك الجريمة يمكن أن يكون كل الناس الذين شهدوها مُذنبيْن فيها. وذلك بفعل "الإحجام العام" كما سبق أن أشرنا من قبل. وربما كان (ماركيز) هنا يوحي بأن المجتمع بأسره مسؤول عن جرائم القتل فيه، وعن موت المغدورين، سواء أكانوا مذنبين أم غير مذنبين..!

وبعد، فإنّ مجموعة المعاني وجزئيات الأفكار التي اكتنزتها هذه الرواية "قصة موت معلن" لم تكن وحدها التي أورثتها جدارتها وأكسبتها براعتها، ورفعت من شأن الروائي (ماركيز) وأهلته لأن يتربع على عرش الرواية في أمريكا اللاتينية، بل كان وراء ذلك أيضاً قدرة هذه الروائي على صناعة الحبكة الروائية المتقنة الماتعة. وقد نبعت متعةُ هذه القصة من خلال نأيها عن المباشرة والسطحية، وبعدها عن الانسكاب في قالب جامد بارد، فقد جاءت معجونة عجناً، تنامى فيها الحدث المحوري شيئاً فشيئاً من خلال مجموعة من الخيوط التي كان